تحليل المخططات المفاهيمية لمحاور الأنموذج الإيماني على مواقع الإنترنت العربية

حسن مظفر الرزو*

مقدمة:

إن الأنموذج الإيماني الذي أرسى القرآن الكريم طوده الشامخ لَبِنَةً، لَبنةً، وحمل رسول الله صل الله عليه وسلم رايته البيضاء إلى صحابته، وأودع الكثير من مفرداته في خطابه النبوي الشريف، يؤشر بوضوح على اهتمام الشارع الحكيم بجميع عناصره، ويؤكد في الوقت ذاته على أن التوحيد أساسه، وقاعدته، ومنطلقه.

وأصبح هذا الأنموذج (بجميع عناصره والتفاعلات القائمة بينها) القاعدة المعرفية التي تنطلق منها، وترجع إليها، وتنضبط بها، كل أفكار الإنسان المسلم، ومفاهيمه، وأحكامه، وقيمه وموازينه، التي يوظفها في تسيير دفة حياته على الأرض. وقد بذل المسلمون (عامتهم وخاصتهم) كل ما في وسعهم لخدمة الأنموذج الإيماني، واستثمروا القدرات الكبيرة التي توفرها الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، فأودعوا خطابهم المعرفي، ونقاشاتهم، ومدوناتهم الشخصية على مواقعها، بعد أن أثقلوا مادتها بمفردات كثيرة من مفردات العقيدة الإسلامية.

وإذا كانت دراسة التيارات الفكرية تسعى الى قراءة خطاب علماء الأمة، الذي يودعونه في كتبهم ومصنفاتهم، فقد أصبحنا في عصر تناثرت عناصر خطابه على ملايين صفحات (الويب) المنتشرة على العقد المعلوماتية E-Nodes للإنترنت. وقد أسهم غياب عنصر الرقابة عن المادة المطروحة على مواقع الإنترنت، وسهولة عرض الآراء في الكم الهائل من صفحات الويب، وسيادة الخطاب العَقَدي الإسلاميّ، في

* مدير المكتب الاستشاري العلمي في كلية الحدباء الجامعة/ الموصل/ العراق. halrizzo@gmail.com

شحن البيئة الرقمية المعلوماتية بآراء كثيرة؛ إذ اختلط صحيحها بسقيمها، وتباينت مواردها، والتبست مفرداتها.

ولهذا السبب، بات لزاماً علينا تتبع حركة الخطاب العَقَدي الإسلامي، وسيرورته على مواقع الإنترنت (خطاب العامة والخاصة على حد سواء) تتبعاً تحليلياً، ومعلوماتياً دقيقاً، ومهيئاً في الوقت ذاته لجهابذة علماء الأمة فرصة دراسة سيرورة هذا الخطاب، وتحليل مكوناته، وتشخيص العوامل المتنوعة التي أثّرت فيه، بغرض رصد إيجابياته، وسلبياته، وتحديد معالم طرائق تكوّنه وتشكّله، تمهيداً لنقده نقد الصياريف.[١]

وقد تركّز عملنا في هذا البحث على جمع مفردات منتخبة من منظومتنا العقدية (التي أودعنا عناصرها ضمن ما أسميناه بالأنموذج الإيماني)، التي وظفها المسلمون في الوقت الراهن في مختلف أشكال خطاباتهم المعروضة على الإنترنت، واستقصاء هذه المفردات؛ لكي تتضح أمامنا مسارات المعالجات العقدية لمسائل باتت تطرح بإلحاح على المسلم المعاصر، مثل: الإيمان، والكفر، والفسق، والبدعة، والضلالة.

إن هذا المسح المعلوماتي سيوفر لعلماء الأمة وأئمتها مادة خصبة لا بد لنا من دراستها للإفادة منها وإغناء الرؤية بها وتقويمها، مع محاولة تجاوز الأمراض والآفات التي لحقت بها.[٢]

أولاً: الفضاءات المعلوماتية للإنترنيت Info Spaces on The Net

تعد منظومة الويب إحدى أنواع الفضاءات المعلوماتية Cyberspaces، التي تسود على سطح البنية التحتية لشبكة الإنترنت العملاقة. وتمتلك فضاءات الإنترنت تراكيب مختلفة، نتيجة لاستخدام أنماط مختلفة من بروتوكولات الاتصال Protocols، وقدرتها على توفير أساليب مختلفة للإبحار داخل حدود الفضاء المعلوماتي، أو عند ممارسة أنشطة تفاعلية مع مفردات بيئته الرقمية.

---

[1] العلواني، طه جابر. **ابن تيمية وإسلامية المعرفة**، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

[2] العلواني، طه جابر. **إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات**، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

ومع تزايد حجم المعلومات المطروحة على مواقع الإنترنت، وتشابك مفرداتها ضمن نسيج الارتباطات التشعبية التي تمتد أذرعها بين أكثر من وثيقة، أو مادة معرفية تلمّ شتات مفرداتها المنتشرة على صفحات الويب، أصبحنا بحاجة ماسة إلى توظيف أدوات ذكية قادرة على تحليل مكونات الفضاء المعلوماتي لصفحات الويب، من خلال تناول كائنات الفضاء المعلوماتي التي تستوطنها. ويتم التعامل مع الكلمة، والعبارة، والمحتوى بوصفها أنماطاً مختلفة من الكائنات المعلوماتية Info-Objects، التي تقيم داخل حدود الفضاء المعلوماتي لصفحات الويب، والتي ينبغي علينا حصر أماكن توطنها على العقد المعلوماتية لنسيج الإنترنت الشبكاتي بآليات ذكية، وذلك لسبر المعاني التي تستوطن في المحتوى الرقمي لهذه الصفحات.[٣]

ويمكن معاينة محتوى صفحات الويب المنتشرة على مواقع الإنترنت على شكل مخطط بيانيّ Web Graph، الذي تتألف مادته من العناصر الموجودة في الصفحة، ووفق وصف رسومي أو منطقي، يتحدد فضاؤه بحسب الارتباطات الموجودة بين كائناته المعلوماتية المختلفة.[٤]

وتتوافر أكثر من طريقة يمكن استخدامها في عملية الوصف الرسومي للعقد المعلوماتية المنتشرة على شبكة الإنترنت، أو لوصف الارتباطات التشعبية الموجودة على صفحات الويب، أو لوصف انتشار مضيفات الخدمة المعلوماتية Web Hosts، المنتشرة على الرقعة الجغرافية للفضاء الرقمي العولمي.[٥]

ويتسم مخطط الويب بميزات فريدة لا نكاد نجدها في مخططات أخرى، أهمها التغير الدائم في محتوى صفحات الويب نتيجة للخاصية التفاعلية السائدة في مكوناتها الرقمية.

---

[3] Peter ,H. ,Alesso, H.P. & C. Smith, (2006), *Thinking On The Web Berners-Lee, Goodel, And Turing*, John Wiley & Sons, Inc., New Jersey, USA.

[4] الرزو، حسن مظفر. تقييم مجموعة منتخبة من مواقع التجارة الالكترونية باستخدام تقنية التنقير المعرفي لمحتويات مواقع الويب، **مجلة علوم إنسانية**، المجلد الثالث، العدد ٢٦، (كانون الثاني، ٢٠٠٦)، الصفحات ٥٦-٧٥.

[5] الرزو، حسن مظفر. جغرافية الفضاء المعلوماتي، **المجلة العربية للعلوم والمعلومات**، العدد الثاني، المجلد١٨، ديسمبر ٢٠٠٣م، الصفحات ١١٠-١٢٣.

فتسهم إضافة الارتباطات التشعبية الجديدة للصفحة Hyperlinks، أو تحديث العقد المعلوماتية المرتبطة بها، أو إزالة ارتباطها مع عقد قائمة، في تغيير معالم مخطط صفحة الويب، الأمر الذي يمنح هيكلة الصفحة سمة متحركة وفاعلة، تجعلها تمر بحالات تغيير دائم.[٦]

وبوضوح، تنعكس آثار هذه الصيرورة الدائمة في محتوى صفحة الويب، وارتباطاتها التشعبية مع صفحات أخرى، على إمكانية وصف مخطط الصفحة، ما لم نحدد بدقة الوقت الذي تمت فيه عملية اقتناص المفردات المعرفية منها. ويمكن أن تدرس عملية التغيير الحاصلة في محتوى الصفحة، من خلال مسح عناصرها عبر حقب زمنية متباعدة؛ لتحديد أنماط التغيير التي سادت مادتها.

وتكمن أهمية دراسة مخططات صفحات الويب، في أنها تمنحنا فرصة جيدة لمعاينة التغيرات الحاصلة في المحتوى الرقمي لها، كما أن النسيج المعقد الذي يربط هذه الصفحات مع مجموعة المنظومات المعرفية، والاقتصادية، والسياسية (التي تقيم الارتباطات التشعّبية جسوراً بين عناصرها) يمنحنا فرصة تحليل فضاء إدارة عناصر المعرفة Knowledge Management بين هذه المنظومات، وتحديد معالم الآليات التي يوظفها الإنسان المعاصر في التعامل مع الإشكاليات المعرفية القائمة.

وفضلاً عن ذلك، تُوفِّر لنا صورة واضحة المعالم عن طبيعة الهيكلة المعلوماتية السائدة على مواقع الإنترنت، ومدى قدرتها على بيان مفردات الخطاب المطروح على عقدها المعلوماتية، وكيفية دعم المستخدم للوصول إلى المواد المعروضة على صفحات الويب، بأقل جهد ممكن، مع ضمان تطابق ما يجول في ذهنه من أهداف، مع الحصيلة المعرفية التي سيوفرها له المحتوى الرقمي المُستوطَن في صفحات الويب.

---

[6] Baldi ,P., Frasconi ,P. & P. Smyth, (2003), *Modeling the Internet and the Web*, John Wiley & Sons, England.

أما عملية تحليل عناصر المحتوى، فتبدأ بصياغة قواعد منطقية قادرة على التنقير عن المفردة المعرفية التي نسعى للوصول إليها، مع تحديد العقدة المعلوماتية التي تنتمي إليها، وطبيعة الخطاب الذي وظّفت في مادته، ومقدار تكرارها في صفحات الويب.

ثانياً: الأنموذج الإيماني لمحتويات صفحات الويب

يستخدم مصطلح الأنموذج Model (في دائرة المعالجات المحوسبة) بوصفه إنشاءً تجريدياً يسعى إلى وصف ظاهرة، بواسطة مجموعة من العناصر التي ترتبط فيما بينها، عبر مجموعة من العلاقات، ويحكمها منطق يؤسس دلالة العمليات التي تسود بيئته المعرفية.[٧]

ولتوفير بيئة مناسبة لحوسبة المفاهيم المعرفية، تبرز الحاجة إلى صياغة نسق رياضي/ منطقي، يصف الظاهرة التي نتناولها بالدراسة والتحليل، وبنمط يمكن من خلاله منح أدوات الحوسبة القدرة على معالجتها، وسبر دلالتها.

وعلى هذا الأساس نجد أنفسنا قبالة نسق معلوماتي ــ معرفي تتألف مادته من مجموعة مدخلات تغذي آلة استدلال معرفي Knowledge Inference Engine، تسودها مجموعة من القواعد المنطقية، التي تتلاءم مع طبيعة المسألة العلمية التي يتناولها الأنموذج. وتساهم البيئة المنطقية (لهذه القواعد) بإنشاء الإطار العام للنسق المفاهيمي Paradigm، الذي يهيمن على عملية سريان جميع العمليات المعرفية السائدة فيها.

وبصورة عامة، يستمد الأنموذج الديني مرتكزات نسقه المفاهيمي من موارد الشريعة الممثلة في: الكتاب، والسُّنة، والإجماع، والقياس. ويوظف أدواتها في تشكيل الإطار العام لتناول جملة من المسائل المطروحة على أرض الواقع.

---

[7] Wikipedia, (2007), *The Free On-line Encyclopedia The Wikipedia Project*, Available At: http://www.wikipedia.com

ويضم الأنموذج الديني مجموعة متنوعة من النماذج الثانوية التي ترتكز إلى مادة موارده، وتوظف آليات تتناسب مع مستوى الخطاب السائدة في كل مورد من موارده. فالأنموذج الحديثي -على سبيل المثال- يستند في تقسيم مدخلاته إلى محورين أساسيين هما: محور الدراية، ومحور الرواية. وتحكم قواعد الجرح والتعديل التي تبناها أئمة هذا الشأن في تدقيق صحة طريق المتن، بينما تستثمر المتابعات والشواهد في تتبع طرق الرواية، وتحديد العلل الكامنة في الروايات السقيمة.

وإذا حاولنا أن نوظف النسق المفاهيمي للأنموذج المحوسب على مسائل العقيدة التي تناولناها في هذه الدراسة، سيتألف أنموذجنا المقترح من مجموعة من العناصر التي تشكّل مادة المسألة الإيمانية، التي يتناولها المسلم المعاصر في خطابه الرقمي المطروح على الإنترنت، وهي ممثلة في خمسة محاور، هي: الإيمان، وعوارض الإيمان، والاتباع، والبدع والمبتدعة، ورجال الإيمان ومناوئيهم.

أما القواعد التي تهيمن على بيئة الأنموذج الإيماني، فتتألف مادتها من: منطوق الخطاب الإلهي ومفهومه، وخطاب النبوة، ومسائل العقيدة التي أرسى مرتكزاتها أئمة علم الكلام وجهابذته.[٨]

وبالطريقة نفسها يمكن إنشاء مدخلات جديدة تعالج هذه المسألة، وفق طبيعة المنظور الذي يوظفه الآخر لسبر عقيدتنا وتحليلها، يمكن أن تدرج في بنيته المفاهيمية آلة المنطق التي يوظفها الفكر الاستشراقي في التعامل مع المسألة الإيمانية، فنحصل على أنموذج جديد يعالج هذه المسألة بمدخلات جديدة، وتظهر معه محاور جديدة لمناقشة المسألة.

[8] لا يسعى هذا البحث إلى إنشاء الأنموذج الإيماني، وبيان طبيعة القواعد المنطقية التي تسود بيئته المفاهيمية، بل اقتصر العمل فيه على اقتراح أهم عناصره، التي يمكن من خلالها إنشاء مخططات الويب التي توجهت عناية البحث إليها.

ثالثاً: إنشاء خارطة مفاهيمية للأنموذج المقترح

إن الخطاب المطروح على مواقع الإنترنت، يعكس -بوضوح- ماهية المعالجات التي يمارسها المسلم المعاصر لقراءة عناصر المسائل التي ينتجها الواقع الذي نعيشه في وقتنا الراهن.

وبعد أن أصبحت بيئة الإنترنت الوعاء الشامل، الذي يستوعب مختلف أشكال الخطاب المطروح على ساحة المتغير الثقافي، والعلمي، والاقتصادي، تحولت أنظارنا صوب قراءة محتويات هذه الشبكة العملاقة؛ للوقوف على أهم التيارات الفكرية السائدة فيها، وتحليل مكوناتها، بدلاً من النهج التقليدي الذي يتناول بالنقد النصوص المطبوعة على الورق في الصحف، والمجلات، والكتب التي بدأ تأثيرها يتناقص؛ نتيجة لتزايد حجم الفيض المعلوماتي الرقمي على الإنترنت.

وتمرّ أمتنا الإسلامية منذ أكثر من عقد من الزمان، بمرحلة إعادة تشكيل المفاهيم حول مسائل عقدية تتناول مسألة الإيمان وحدوده، والعوارض التي تطرأ عليه، فضلاً عن توجيه عناية غير مسبوقة للدعوة إلى الله تعالى، وموجهة خطابها إلى المسلم وغير المسلم. وفي جميع هذه الحالات، تبرز إشكالية مكونات المنظومة العقدية الإسلامية، فتلقي بظلالها على ساحة المتغير الإسلامي في ساحة صفحات الويب المنتشرة على الإنترنت، بعد أن أضحت بديلاً سهل التناول؛ إذ يتجاوز عقبة النشر، وهيمنة السلطة، وغيرها من العوائق التي تقف عائقاً أمام نشر الخطاب الديني في حدود عالمنا الإسلامي.

لقد ارتكز عملنا في هذا البحث على تتبع كافة أشكال الخطاب الرقمي على الإنترنت، الذي يناقش مفردات موضوعية تصب في بوتقة هذه المسألة؛ لتحديد مسارات المعالجة السائدة هذه الأيام لمكونات جزء محدد من المنظومة العقدية الإسلامية، بعد أن رأينا أن وجود هذه المفردات داخل حدود النص المرقمن، وفي مواقع محددة منه، دليل يمكن الاستئناس به؛ لتحديد معالم الأنموذج الإيماني، ومخططات المفاهيم Concept Maps، التي تطرحها العامة والخاصة على حد سواء؛ لخدمة محتوى هذا الأنموذج المعاصر.

ولتحقيق هذا الغرض اعتمدت آلية ذكية Intelligent Technique وظّفت من خلالها محركات البحث Search Engines (المتوافرة بسخاء على مواقع الإنترنت)؛ للبحث عن المفردات التي تصب في هيكلة مفاهيمية أطلقنا عليها الأنموذج الإيماني، الذي تتمثل مادته في المحتوى الرقمي المُودَع في صفحات الويب، التي تستقر فيها مادة علمية، ومناقشات، وسجالات تدور في فلك الأنموذج المقترح.

وقد صنفت المواقع إلى مجموعة من المستويات الرئيسية والثانوية؛ لضمان استيعاب جميع الصفحات المنتشرة على الإنترنت؛ ولتحديد معالم المعالجات المفاهيمية التي يمارسها المسلم المعاصر على عناصر هذه المسائل، وبمختلف تشعباتها.

وقد شملت المحاور الرئيسة: صفحات الإنترنت، والمواقع الإسلامية، ومواقع الأخبار، والمدوّنات، والمنتديات، والصور. ثم قسّمت المواقع الإسلامية إلى: مواقع إسلامية عامة، ومواقع دعوية، ومواقع تُعنَى بالسُّنة النبوية، ومواقع أئمة العلم الشرعي والدعاة، ومواقع شبكات إسلامية، ومواقع مكتبات إسلامية، ومواقع تُعنى بالقرآن وعلومه، ومواقع تُودع فيها الفتاوى، ومواقع شيعية، ومواقع إذاعات إسلامية، ومواقع مجلات إسلامية، ومواقع تُعنى بجمع الحديث النبوي، ومواقع خُصصت لنصرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، ومواقع تُعنى بمسائل الإعجاز العلمي، ومواقع تعالج مسائل المرأة، وأخيراً مواقع لبعض المساجد الإسلامية. وتم استقصاء محتوى جميع هذه المواقع؛ لضمان تغطية جميع تجليات الخطاب الإسلامي، الذي تقع مفرداته ضمن الأنموذج الإيماني المقترح.

أما بالنسبة للمنتديات، فقد شملت عمليات البحث: مواقع المنتديات الإسلامية، ومواقع منتديات عامة، ومواقع اقتصادية، وأخرى نفسية، ومواقع لمنتديات المرأة، ومنتديات الحاسوب، ومنتديات علمية، ومنتديات تعليمية، ومنتديات طبية، ومنتديات متنوعة لا يجمعها قاسم مشترك. ولا يخفى على مستخدمي الإنترنت أن مواقع المنتديات تُعد موطناً مهماً لجميع أشكال السِّجال العقدي والفقهي على هذه الشبكة المترامية الأطراف.

أما محاور البحث عن عناصر المسألة، فقد شملت مجموعة من المحاور التي تم انتقاء مفرداتها بعناية بالغة –انظر جدول(١)– لكي تمنحنا صورة واضحة المعالم عن مستوى الاهتمام السائد في المحتوى الرقمي الإسلامي بمحاور المسألة.

وقد تألفت هذه المحاور من الأطر التالية: الإيمان، وعوارض الإيمان، ومعالم الاتباع، والبِدَع والمبتدعين، ورجال الإيمان ومناوئيهم.

المحور	تفاصيل المفردات							
الإيمان.	الإيمان		الإسلام		التوحيد		العقيدة	
عوارض الإيمان.	الشرك	الكفر	الفسق	الفجور	الهوى		الردة	
معالم الاتباع.	السُّنة		السَّلف		السَّلفية			
البدع والمبتدعين.	البِدْعَة ــ المُحدَثة				مبتدع			
رجال الإيمان ومناوئيهم.	داعية	مؤمن	مسلم	ضال	فاسق	مُرتَدّ	مشرك	كافر

جدول (١) ــ هيكلة عناصر مخطط صفحات الويب للأنموذج الإيماني على مواقع الإنترنت.

ونظراً للدور الذي تمارسه المفردة بحسب موقعها ضمن مواقع الويب، فقد تمّت عملية البحث على مستويين؛ الأول: المواقع التي تضم الكلمة المطلوبة في عنوانها؛ إذ إن ورود الكلمة في عنوان وثيقة صفحة الويب يُعدّ مؤشراً على التصاق محتوى صفحة الويب مباشرة بالمفردة ذاتها؛ لأنها محور الخطاب السائد في الصفحة. والمستوى الثاني: المواقع التي تضم الكلمة المطلوبة في متنها، وهذا مؤشر على وجود إشارة لها داخل الصفحة، دون أن تكون الكلمة محوراً رئيسياً لمادتها.

أما بالنسبة للمواقع الإسلامية والمنتديات، فقد وجّهنا عنايتنا إلى المواقع التي تضم الكلمة المطلوبة في عنوانها حصراً؛ لكي نكون أكثر قرباً من المواقع ذات الصلة المباشرة بموضوع دراستنا، بدلاً من الضياع في متاهات مسارات الكلمة في خطابات غير مباشرة.

رابعاً: بيانات الأنموذج الإيماني على مواقع الإنترنت ومخططاته

١. بيانات الأنموذج الإيماني على مواقع الإنترنت:

يظهر في الجداول (٢، ٣، ٤) مستوى تكرار المفردات الخاصة بكل محور من محاور الأنموذج الإيماني في كلٍّ من: مواقع الإنترنت، والمواقع الإسلامية، والمنتديات، والمدوّنات، والمواقع الإخبارية، والصور، وذلك خلال عملية البحث التي تمت في الأسبوع الثاني من شهر شباط عام ٢٠٠٧.

ويبدو واضحاً من جدول (٢) أن مفردات محور رجال الإيمان ومناوئيهم، هي الأوفر حظاً بالذِّكر في مواقع الإنترنت، والمواقع الإسلامية، والمدونات، والمنتديات. ويمكن أن يُعزى هذا الأمر إلى وجود اهتمام كبير توليه شريحة واسعة من مستخدمي الإنترنت، في إرساء حدود فاصلة بين المسلم، والمشرك، والكافر، وهي مسائل باتت تؤرق المسلم في البيئة العربية التقليدية، والرقمية على حد سواء.

وتأتي بعدها بالمرتبة، مفردات محور الاتباع، التي تضع فيصلاً بين أهل السُّنة والجماعة، وغيرهم من أهل الأهواء والبدع. ثم تأتي بعدها مفردات مسائل عوارض الإيمان، والابتداع.

إن الفروق الواضحة بين تكرار ورود مفردات المحاور المختلفة، في قطاعي: عنوان الوثيقة، ومتنها، تؤكد أن مناقشة هذه المفردات الإيمانية، لم تعد تقتصر على مناقشة الموضوع بصورة مباشرة، فقد أصبح الخطاب العربي مشحوناً بهذه المفردات في مختلف

أشكال النصوص المطروحة على صفحات الويب، بعد أن تغلغلت مادة الأنموذج الإيماني في كثير من مفردات حياة المسلم المعاصر.

وإذا حاولنا قراءة البيانات الموجودة في جدول (٣)، سنجد أن منتديات الدعوة هي الأكثر ازدحاماً بصفحات الويب التي تناقش فيها مفردات الأنموذج الإيماني، وكذلك الحال بالنسبة للشبكات الإسلامية، بينما نلاحظ وجود انحسار ملحوظ في مواقع فتاوى العلماء بمعالجة هذه المسائل المهمة.

أما بيانات جدول (٤)، فتظهر وجود اهتمام كبير بمفردات الأنموذج الإيماني، وبنسبة تقل عن المواقع الإسلامية، لكنها تُسفِر -في الوقت نفسه- عن تسلل هذه المفردات إلى المنتديات العربية الثقافية، والنفسية، والاقتصادية، والعلمية، والتعليمية.

ويتضح لنا مما سبق، أن مفردات الأنموذج الإيماني قد انتشرت بكثافة كبيرة على مختلف أشكال صفحات الويب العربية، سواء أكانت صبغة المواقع إسلامية صرفة، أم مواقع عامة، أم حتى في مواقع الحاسوب. وهذه البيانات تؤكد على بروز وعي جديد بمسألة الإيمان، وعوارضه، ومسائل أخرى بات المتغير الثقافي والسياسي يطرحها بقوة على المواطن المسلم في جميع بقاع الأرض.

بيد أننا نؤكد على حقيقة وجود هوّة شاسعة بين الإكثار من ذكر مفردة من المفردات الإيمانية، وإدراك دلالاتها ضمن الأنموذج الإيماني السليم؛ إذ لا شائبة تكدّر صفو الإيمان، ولا هوى مُتّبع يحيل عمل المسلم إلى هباء منثور. كما أنها تؤكد -في الوقت نفسه- على ضرورة نهوض علماء الأمة ودعاتها بدور فاعل، يدعم الرغبة الصادقة لدى عامة المسلمين، فيوجه حوارهم باتجاه فيه صلاحهم، ودرء غائلة الفرقة والخلاف بينهم.

جدول (٢)

ت (بحسب الموقع).

المحور	في عنوان الوثيقة						في متن الوثيقة					
	الإنترنت	مواقع إسلامية	الأخبار	المدونات	المنتديات	الصور	الإنترنت	مواقع إسلامية	الأخبار	المدونات	المنتديات	الصور
الإيمان.	2,093,543	203,453	3,638	239,886	100,740	2,876	9,006,563	1,032,343	17,203	405,354	397,837	2,562
عوارض الإيمان.	522,981	67,492	1,013	40,513	26,107	208	4,415,954	294,396	12,377	250,470	139,587	212
الإتباع.	658,966	71,350	1,727	144,894	23,546	7,417	8,757,871	645,006	28,601	665,543	238,242	7,417
البدع والمبتدعين.	102,158	13,249	103	5,685	3,241	121	882,366	122,794	1,300	288,388	31,461	121
رجال الإيمان ومناوئيهم.	3,714,289	417,601	16,603	495,095	161,357	2,246	17,589,135	1,609,379	51,544	1,459,499	601,951	2,204

جدول (٣)

الكلمة	علم	دعوة	سنة	شيخ	شبكة إسلامية	مكتبة إسلامية	قرآن	فتاوى	شيعة	إذاعة	مجلة إسلامية	حديث	نصرة النبي	إعجاز علمي	المرأة	مسجد
الإيمان.	23,131	17,829	14,710	13,070	6,398	2,269	1,745	407	2,530	1,545	5,950	3,112	572	676	158	11,753
عوارض الإيمان.	7,763	8,055	5,276	2,700	2,492	3,044	1,101	353	832	611	4,504	880	519	158	88	297
الاتباع.	7,887	7,374	2,140	2,976	2,132	1,220	817	360	378	389	1,193	976	149	105	119	135
البدع والمبتدعين.	919	1,016	277	300	324	309	258	85	77	37	413	110	25	12	5	39
رجال الإيمان ومناوئيهم.	32,430	35,361	4,863	6,046	13,500	7,666	3,015	1,819	1,865	1,697	2,725	5,464	1,639	743	437	693

تلفة.

جدول(٤)

تلفة.

الكلمة	إسلامي	علم	اقتصادي	نفسي	المرأة	ثقافي	حاسوب	علمي	تنظيمي	طب	أخرى
الإيمان.	22,669	8,329	1,435	269	2,829	2,167	444	859	438	105	480
عوارض الإيمان.	2,294	1,297	77	160	309	64	46	41	21	4	84
الاتباع.	1,948	1,350	110	50	358	108	39	22	13	5	39
البدع والمبتدعين.	305	211	12	8	11	29	15	0	2	1	12
رجال الإيمان ومناوئيهم.	6,769	5,829	350	174	62	227	116	72	52	7	214

٢. مخططات الأنموذج الإيماني على مواقع الإنترنت:

لصياغة مخططات الويب، المناظرة لكل محور من محاور الأنموذج الإيماني، السائد على مواقع الإنترنت عام ٢٠٠٧م، تمَّ جمع المفردات التي تقع ضمن كل فقرة من فقرات كل محور، والتي تؤشر على تصاريف المفردة الواردة في حدود الخطاب المطروح (مثل: مسلم، مسلمون، مسلمين).

وقد أُعدّت ثلاثة أصناف من المخططات، بحيث يُظهر الصنف الأول انتشار مفردات المحور على الأبواب الرئيسة لمواقع الإنترنت، ويظهر الصنف الثاني توزيع المفردات في المواقع الإسلامية، بينما يظهر نمط انتشار المفردات على مواقع المنتديات العربية في الصنف الثالث من هذه المخططات.

وارتكزت عملية إعداد المخططات على توظيف نمط المخططات العمودية Bar Chart؛ لوصف أنماط توزيع مفردات الأنموذج الإيماني على صفحات الويب. وتتألف الأعمدة (لكل شكل من هذه الأشكال) من المتغيرات التي يسعى المخطط إلى وصفها. ويمثل كل رأس من رؤوس الأعمدة، المتغير الذي يناظره. أما القيم العددية المناظرة، فتمثل عدد تكرار ورود المفردة داخل صفحات الويب، التي نوقشت فيها مفردات محاور الأنموذج الإيماني المقترح.

وتظهر في الأشكال (١، ٢) مخططات صفحات الويب لمواقع الإنترنت، التي أودعت فيها مفردات مختلف محاور الأنموذج الإيماني، في عناوين الوثائق، ومتونها. ويُظهر هذان المخططان مستوى الاهتمام لدى مستخدمي الإنترنت في الوطن العربي بمسائل هذا الأنموذج.

ويظهر أن مواقع الإنترنت العامة، احتوت على ٧٠٩١٩٣٧ صفحة ويب، ضمت في عناوينها مفردات الأنموذج الإيماني، بينما توجد ٤٠٦٥١٨٨٩ صفحة ويب ضمت هذه المفردات في متونها.

أما المواقع الإسلامية، فقد احتوت على٧٧٣١٤٥ صفحة ويب، ضمت في عناوينها مفردات الأنموذج الإيماني، بينما توجد ٣٧٠٣٩١٨ صفحة ويب، ضمت هذه المفردات في متونها. ومما لاشك فيه أن هذه الفئة من مواقع الإنترنت هي الأوفر حظاً في تناول هذه المسألة، بحكم هويتها واهتمامات روادها.

أما الإحالات الواردة في المدونات فبلغت ٩٢٦٠٧٣ صفحة ويب، ضمت في عناوينها مفردات الأنموذج الإيماني، بينما توجد ٣٠٦٩٢٥٤ صفحة ويب، ضمت هذه المفردات في متونها. ويأتي بعد ذلك دور مواقع المنتديات التي نجد فيها أن٣١٤٩٩١ صفحة ويب، ضمت في عناوينها مفردات الأنموذج الإيماني، بينما توجد ١٤٠٩٠٧٨ صفحة ويب، ضمت هذه المفردات في متونها. وبصورة عامة فإن المحتوى الرقمي المطروح في هذه المنتديات، لا يزيد عن كونه مجموعة تعليقات ترد هنا أو هناك أثناء المناقشات العامة، التي يطرح خلالها رواد المنتديات مسائل ذات صلة بمفردات الأنموذج الإيماني.

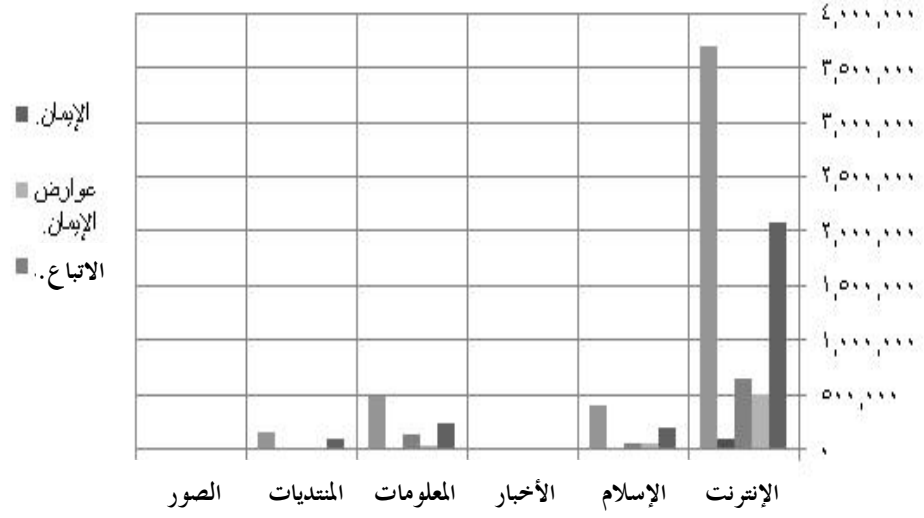

شكل (١) ـــ مخطط صفحات الويب

بحسب ورود كلمات المحاور في عناوين الوثائق المنتشرة على مواقع الإنترنت المختلفة.

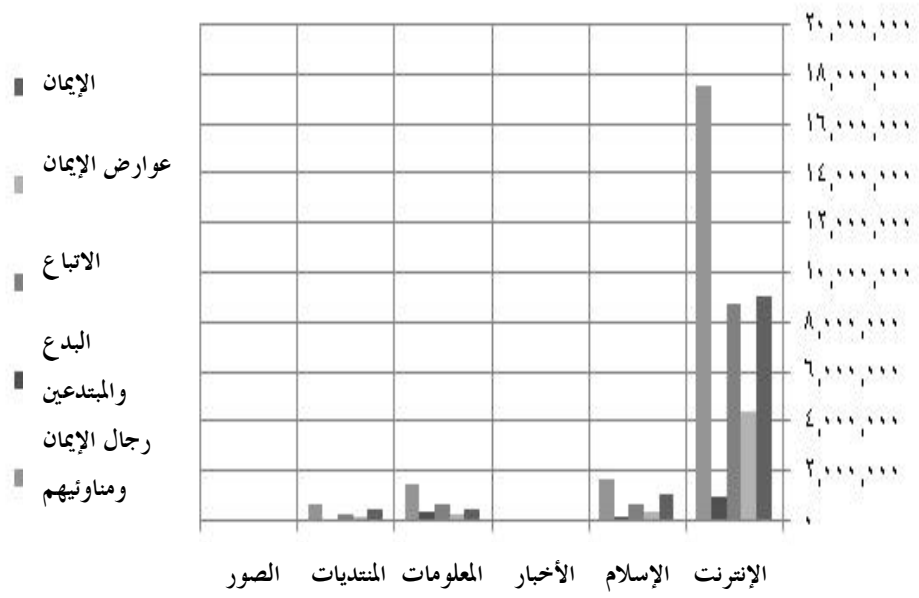

شكل (٢) ــ مخطط صفحات الويب

بحسب ورود كلمات المحاور في متن الوثائق المنتشرة على مواقع الإنترنت المختلفة.

أما إذا حاولنا تحليل تفاصيل مخطط صفحات الويب في المواقع الإسلامية (انظر شكل ٣) فستظهر أمامنا تفاصيل جديدة ذات صلة بهوية الموقع الإسلامي وثقافة رواده.

ويبدو واضحاً أن مساحة انتشار استخدام المفردات الإيمانية قد توسعت، مقارنة مع الشكلين (١-٢)، وظهرت هوية المواقع الإسلامية التي تتناول مفردات الأنموذج الإيماني بمواقعها المنتشرة على الإنترنت.

فعلى سبيل المثال، إذا أردنا متابعة مفردات عوارض الإيمان، سنجد أن مواقع الدعوة تتصدر بقية المواقع الإسلامية (٨٠٥٥ صفحة ويب، ضمت في عناوينها مفردات هذا المحور الإيماني)، ثم تأتي بعدها المواقع الإسلامية العامة (٧٧٦٣ صفحة ويب، ضمت في عناوينها مفردات هذا المحور الإيماني)، بينما تميزت مواقع المرأة بأنها

الأقل اهتماماً بهذه المسألة (١٦٨ صفحة ويب، ضمت في عناوينها مفردات الأنموذج الإيماني).

وبالطريقة نفسها، يظهر أن محور البِدْعة يحتل مكانة متميزة في مواقع الدعوة (١٠١٦ صفحة ويب، ضمت في عناوينها مفردات هذا المحور الإيماني) وتأتي بعدها المواقع الإسلامية العامة (٩١٩ صفحة ويب، ضمت في عناوينها مفردات الأنموذج الإيماني).

كذلك يمكن تمييز أكثر محاور الأنموذج الإيماني، التي تستأثر باهتمام المسلم المعاصر على الإنترنت؛ إذ يظهر أن محور رجال الإيمان ومناوئيهم، وهو الأكثر ثراء على صفحات الإنترنت الإسلامية، وهو أمر فرضته مسائل كثيرة تعصف بوطننا العربي، منها احتلال العراق، وانتشار التيارات الإسلامية المتنوعة، وأمور أخرى لا يتسع المقام لذكرها.

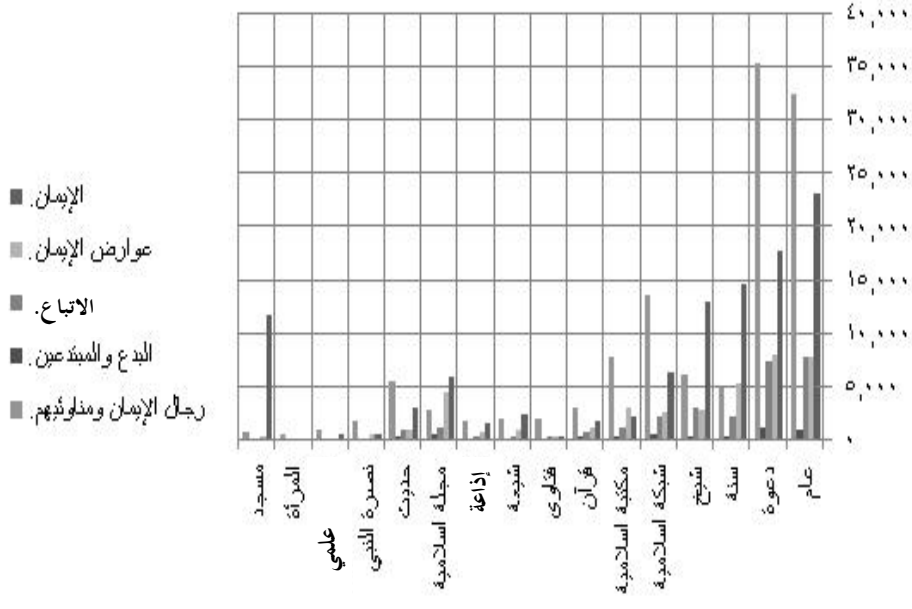

شكل (٣) ــ مخطط صفحات ويب المواقع الإسلامية
التي تناقش مفردات محاور الأنموذج الإيماني.

وفي الوقت نفسه، يبدو جلياً أن امتداد ساحة النقاش الإيماني قد ارتبطت بمسائل عامة، ومسائل الدعوة، والسُّنة بوصفها مورداً للإيمان، والشبكات الإسلامية التي سخرت كل ما لديها للنهوض بأعباء الدعوة إلى الإيمان. بينما نجد انحساراً في توظيف النص القرآني، والفتاوى، والمجلات الإسلامية المنتشرة على الإنترنت، في مناقشة هذه المفردات في نصوصها المودعة على صفحات الويب، والمنتشرة بكثافة في الفضاء المعلوماتي للإنترنيت.

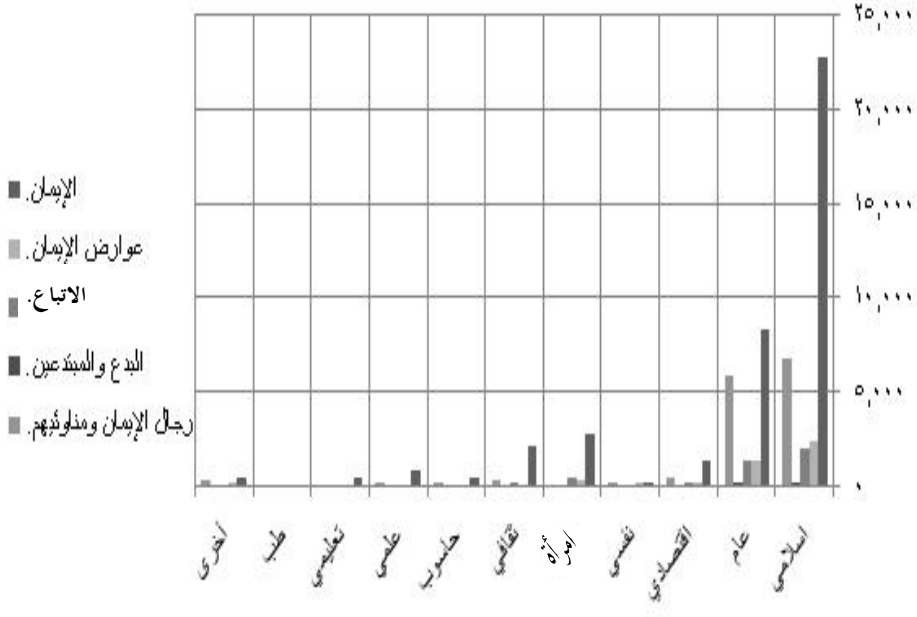

شكل (٤) ــ مخطط صفحات ويب المنتديات العربية
التي تناقش مفردات محاور الأنموذج الإيماني.

أما مخطط صفحات الويب الخاصة بالمنتديات العربية (انظر شكل ٤)، فيظهر لنا حقائق جديدة تؤكد أنّ مفردات المتغير الإيماني قد سَرَت داخل حدود هذه المنتديات، بيد أن المنتديات الإسلامية (بحكم هويتها) لا تزال تتبوأ المرتبة الأولى، ثم تأتي بعدها المنتديات العامة، التي تطرح مفردات هذه المسائل وتشعباتها في مختلف أنماط النقاشات، بينما لم تخلُ بقية المنتديات–حتى العلمية الصرفة والتعليمية– منها.

وإذا أردنا أن نحدد نمط مناقشة مسائل محور رجال الإيمان ومناوئيهم -على سبيل المثال لا الحصر- ضمن مواقع المنتديات العربية، سنجد أن المنتديات الإسلامية ضمت ٦٧٦٨ صفحة ويب حول مفردات هذه المسألة، وكذلك استأثرت المواقع العربية العامة بحصة جيدة في مناقشة هذه المسائل؛ إذ ضمت ٥٨٢٩ صفحة ويب. أما مواقع المنتديات الثقافية، فلم تضم أكثر من ٢٢٧ صفحة ويب تناقش مسائل هذا المحور. وبالطريقة نفسها، يمكن تحليل بقية مكونات هذا الشكل؛ إذ يمكننا متابعة انتشار مفردات المحاور المختلفة على مواقع المنتديات العربية المختلفة.

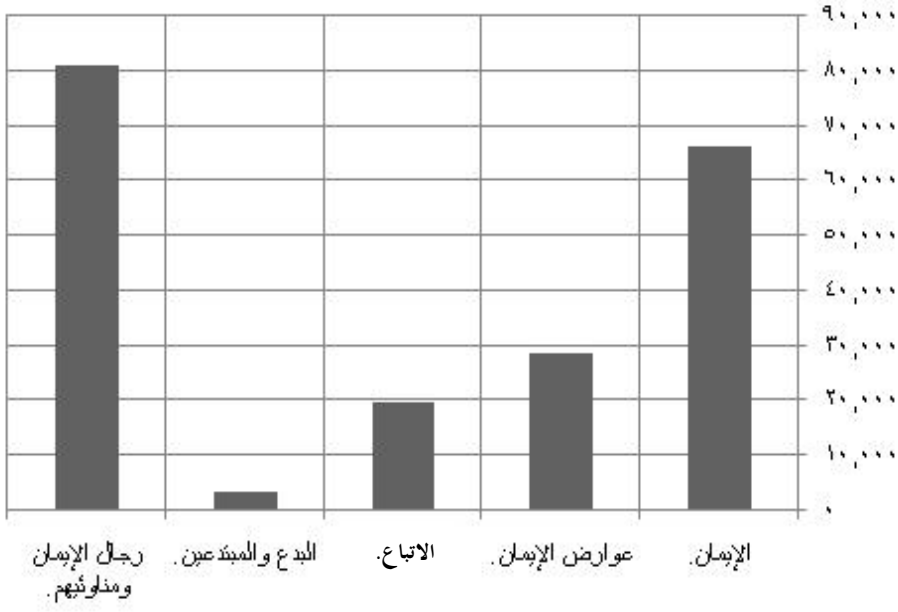

شكل (٥) ــ مخطط صفحات ويب خطاب أئمة الأمة وعلمائها
حول محاور الأنموذج الإيماني على مواقع الإنترنت العربية.

وبعد أن أكملت الدراسة رحلتها مع الأصناف الثلاثة لمخططات مواقع الويب، حاولت توسيع دائرة تحليل دلالة البيانات الموجودة بين أيدينا، فعمدت إلى إنشاء مخطط لصفحات الويب التي تضم خطاب الفئة المثقفة، وعلماء الأمة الإسلامية حول

المسائل ذات الصلة بمحاور الأنموذج الإيماني (انظر شكل ٥). وقد ضمت هذه المواقع كلاً من مواقع: الشيوخ، والفتاوى، والشبكات الإسلامية المتخصصة.

ويظهر أن مساحة الاهتمام قد توسعت بوضوح من حيث عدد تكرار المفردات الإيمانية لمحاور الأنموذج المختلفة، مما يؤشر على وجود اختلاف جوهري في حجم المعالجة التي يتبناها أفراد هذه الطبقة العالمة، مقارنة مع عموم المجتمع الإسلامي (للمقارنة انظر الأشكال ١، ٢، ٣، ٤).

ويبدو جلياً أن اهتمام هذه الطبقة قد انصب -حسب الأولويات التي أظهرها مخطط الويب- على مسائل الإيمان (١٣٠٧٠ صفحة ويب، ضمت في عناوينها مفردات هذا المحور الإيماني)، ثم رجال الإيمان ومناوئيهم (٦٠٤٦ صفحة ويب، ضمت في عناوينها مفردات هذا المحور الإيماني)، ثم مسائل الاتباع (٢٩٧٦ صفحة ويب، ضمت في عناوينها مفردات هذا المحور الإيماني)، فعوارض الإيمان (٢٧٠٠ صفحة ويب، ضمت في عناوينها مفردات هذا المحور الإيماني). بينما تضاءل الاهتمام بمناقشة مسائل البدع (٣٠٠ صفحة ويب، ضمت في عناوينها مفردات هذا المحور الإيماني)، التي لم تعد تأثيراتها حاسمة كما هو الحال عليه مع مفردات المسائل الأخرى، التي بدأت تعصف بالأنموذج الإيماني للمسلم المعاصر في هذه الأيام.

من جهة أخرى حاولت الدراسة تتبع جغرافية طرح الخطاب الإيماني، فوجَّهت عنايتها لتحديد هوية البلدان العربية، ومستوى توظيف مفردات محاور الأنموذج الإيماني في كل منها، (انظر الشكل ٦). ويُظهر المخطط، أن الفيض المعلوماتي الصادر عن مضيفات خدمة الإنترنت في دول الخليج العربي، هو الأكثر غزارة (حوالي ١٢,٠٠٠,٠٠٠ صفحة ويب، ضمت مفردات محاور الأنموذج الإيماني)، مما يؤشر على الاهتمام الكبير الذي توليه بلدان هذه المنطقة بهذه المسائل، تأتي بعدها دول

المغرب العربي (حوالي ١٠,٠٠٠,٠٠٠ صفحة ويب، ضمت مفردات محاور الأنموذج الإيماني)، في حين تأتي العراق وبلاد الشام في المرتبة الأخيرة بالنسبة لحجم الاهتمام بتوظيف هذه المفردات في خطابها الإسلامي المطروح على الإنترنت (حوالي ٨,٠٠٠,٠٠٠ صفحة ويب، ضمت مفردات محاور الأنموذج الإيماني).

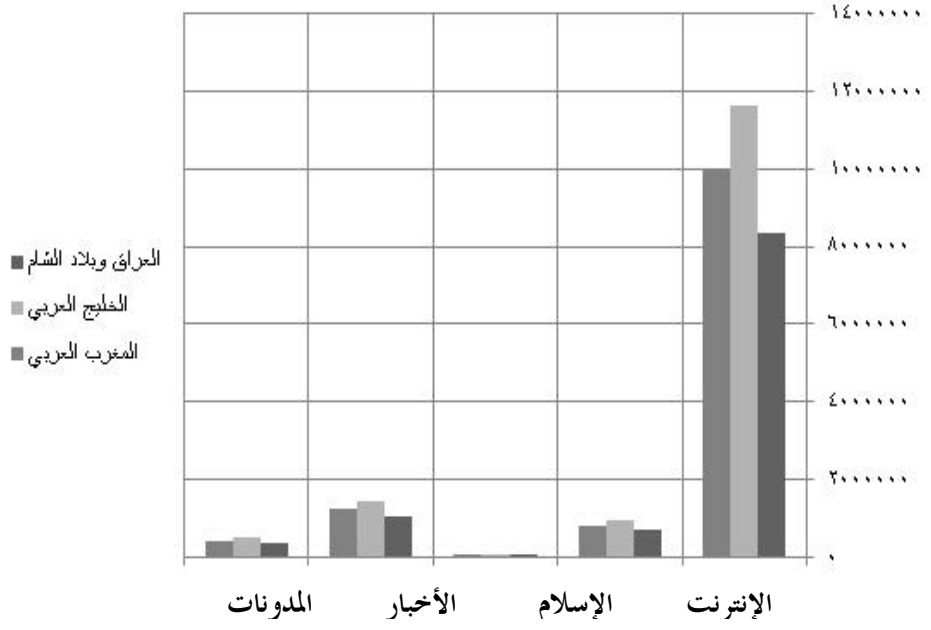

شكل (٦) ـــ مخطط صفحات الويب

التي تناقش الأنموذج الإيماني في مناطق الدول العربية.

بالمقابل، يظهر وجود تكافؤ في حجم المواقع الإسلامية في مناقشة مفردات المحاور الخمسة، بينما تتفوق مدونات المغرب العربي على بقية المواقع الإسلامية في المناطق الأخرى، في معالجة مفردات هذه المسائل وتفريعاتها(حوالي ٢٠٠٠,٠٠٠ صفحة ويب، ضمت مفردات محاور الأنموذج الإيماني).

الخاتمة:

لقد تحولت حصيلتنا المعرفية الإسلامية، من دائرة المدوّن على مادة الورق إلى البيئة الرقمية –الشبكاتية، التي استوطنت بيئة الإنترنت، ففرضت على المسلم المعاصر ممارسة جملة من المعالجات المفاهيمية المبتكرة على النصوص الرقمية لمواردنا.

وقد استجاب المسلم المعاصر لدعوة عصر الرقمنة والإنترنت، فبدأ بخطوات متسارعة لتحويل نصوصه الى نصوص رقمية، وهَرَع إلى طرح حجم كبير من خطابه الإسلامي على مواقع الشبكة العنكبوتية World-Wide-Web للإنترنيت.

إن البيئة المفتوحة التي تتميز بها شبكة الإنترنت، منحت للكثيرين فرصة سهلة لمناقشة هذه المسائل العويصة، دون أن يمتلك بعضهم أدوات معرفية كافية، تؤهله لممارسة هذه الأنشطة على صفحات الويب المنتشرة على مواقع الإنترنت المختلفة، فتراكمت المادة الرقمية المطروحة في هذا الميدان الحيوي والخطير.

لقد أظهرت المخططات المفاهيمية للآراء ذات الصلة بالمنظومة العقدية الإسلامية، وجود أكثر من فرصة خصبة لتتبع مسارات الخطاب الإسلامي على الإنترنت، وتحليله، والوقوف على الفجوات المعرفية السائدة بين مفرداته. كما أن تحليل هذه المخططات خلال فترة زمنية محددة، سيوفر معلومات مهمة تسهم بدعم القيادات الإسلامية في تحديد إطار الخطاب الدعوي المطلوب طرحه على ساحة المتغير الإسلامي؛ لإزالة الإشكاليات، وانتشال الأمة من المآزق المعرفية التي قد يمر بها بعض أفرادها، والسعي نحو توجيه خطابهم الى ما فيه نفع للأمة.

وبصرف النظر عن النتائج التي تم التوصل إليها خلال هذا البحث، فإن الأمر المقلق في وقتنا الراهن، هو سيادة نهج التكفير والتبديع والتفسيق (أي نسبة الفرق، أو العلماء، أو الأفراد، بعضهم بعضاً إلى الكفر، أو البدعة، أو الفسق) على كثير من صفحات الويب المنتشرة على الإنترنت. وتُعدّ هذه النزعات، من النتائج السلبية الكثيرة التي تترتب على ضيق الأفق، وقلة الوعي، والتقليد، والتعصب، وتناسي أدب

الاختلاف، وروح العلم والتعليم والموضوعية، وأدب الحوار والجدال بالتي هي أحسن، والغفلة عن آداب الدعوة وأصولها.[٩]

ولعل من أهم أسباب الإسراف في تعاطي ظاهرة التكفير بين المسلمين، تلك الغفلة الشديدة عن لُغة الشّرع، ومناهج التعامل مع المصطلحات، والألفاظ الشرعية، وفهمها في سياقاتها؛ إذ إن ألفاظ الإيمان، والكفر، والنفاق، ونحوها، ألفاظ شرعية هامة تقوم عليها الكثير من الأفكار والأحكام، ولا ينبغي أن يستخدمها العامة في خطابهم اليومي، لما له من أثر في بثِّ الفرقة بين أبناء الأمة الإسلامية.

[9] العلواني. **ابن تيمية وإسلامية المعرفة**، مرجع سابق، ص١٣.